

العالم يجرى !!

كل شيء يجرى في هذا العصر، وكل شيء يسرع. والعالم في اسرعه للأمام، لا يكاد يتلفت يمنة ولا يسرة، وإن كان يتجه الى الخلف في أحيان قليلة، ليرى كم قطع من المسافات فالبخار لم يعد يستطيع تلبية هذه الحاجة الملحة للسرعة فخلفه الطيران، والطائرات نفسها تكاد تعجز عن تليتها، فتزيد كل يوم في سرعتها، وتقوم المسابقات العالمية لهذا الغرض.

والتليفون والبرق لم يعودا كافيين، فاذا بالراديو واذا بالتلفزيون لنقل الاصوات ولنقل الصور، بل لنقل المناظر ذاتها لا صورتها. واذا بالأفلام الناطقة تعرض الصوت والحركة، وتغنى بالعين والسمع عن الوهم والخيال!

هذه الظاهرة السيكلوجية الغربية، قد جرفت معها الأدب أيضاً، وجرفت الفنون جميعاً، وكان ذلك طبعياً، لأن الفنون هي الظاهرة للنفس الباطنة.

فالفن اليوم لمحات خاطفة، وملاحظات سريعة، لا يقف للدرس العميق، والتحليل الدقيق، لأن طبيعة العصر لا تمهله للوقوف، وإلا سبقته الحياة بآلاف الأميال

والمجلات العلمية اليوم تكاد تنعدم، والباقي منها أخذته نشوة السرعة أيضاً فلم تعد بحوثه مركزة، ومع ذلك فهي لا تجد العدد الكافي من القراء فتضمحل وتذوى، وتدرج في زوايا النسيان.

وأنا على يقين من تبدل هذه الحال، فالعالم الذي يجرى الآن بكل قوته، لا بد أن يدركه الكلال، ولا بد أن تنقطع به هذه النشوة الطائشة، فيتمهل ليعرف ما يحيط به

وسيضحك العالم من نفسه يومئذ على تلك الحماقة التي ارتكبها، كما يرتكب الأطفال حماقاتهم، ركضاً وجرياً ووثباً

قليلاً فتقبله. وأنت ان استطعت الحكم على الماضي والحاضر فلن تستطيع الحكم على المستقبل. ولكن ما بال طبيعة اللغة قبلت تغيير القافية في القصيدة الواحدة اذا غيرتها كل خمسة أبيات مثلاً، ولا تقبلها اذا غيرتها؟ في كل بيت. ثم ما بال طبيعة اللغة قبلت تغيير القافية في كل بيت اذا ما راعيت القافية بين شطري كل بيت على حدة، ولا تقبل تغيير القافية دون مراعاة الموافقة بين الشطرين؟ ثم ما بالها أخيراً قبلت تغيير البحور في القصيدة الواحدة ولا تقبل تغيير القافية ولزوم بحر واحد؟ ستقول ولكن في كل هذا نوعان من القافية كافياً لاحداث تلك الموسيقى المألوفة. اذن لقد أصبحت تقتنع بشيء من القافية بعد أن كان الشعر العربي لا يقنع الا بالقافية كلها متبعة من أول القصيدة الى آخرها. واذا قبلت اللغة بعض النغير فاني أزعم أنها ستقبل التغير كاملاً.

وما رأيك في أنى أرى في الشعر المرسل أنواعاً جديدة من الموسيقى يعجز عنها بل قد يفسدها الشعر المقفى؟

الوزن في القصيدة ليس بالنغم الخافت الذي تسمعه الأذن، فهو عندي وأظن عندنا جميعاً أقوى موسيقى في الشعر، ثم هناك موسيقى الألفاظ وموسيقى الحروف، فهل من المحتوم وجود القافية المكررة المحركة بحركة معينة حتى نشعر بأن هناك موسيقى؟

والغريب أنه بينما نحن نتناقش في الشعر المرسل يتناقش الأدباء الأمريكيون الحديثون في الشعر الحديث الذي لا وزن له ولا قافية.

ليطمئن قرأى فيسفينى عمرى في الدعوة إلى الشعر المرسل، فهل يتيسر لى أن أدعو الى هذا الشعر الحديث الذي لا أستسيغه الآن؟ ولكنى لا أعرف، فقد استسيغه غدا.

وأخيراً أرى كما أسلفت أن المجال ليس مجال جدال وإنما خير رد على خصوم الشعر المرسل هو أن أكتب وأن يكتب غيرى من أنصار الشعر المرسل قصائد نستطيع أن نقنع بها الذوق العام الذى نحترمه جميعاً، وأن نقنع بها أيضاً من يهمننا اقناعهم.

سهير القلماوى

ثم يفيقون من هذه الغمرة عندما يكتمل نضجهم ، ويتوبون الى الرشاد .

النشاط شيء ، والعجلة شيء آخر ؛ وإذا كان النشاط من مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة ، فليس للعجلة هذه المزية مطلقاً ، بل أن لها أضراراً ، قد لا تعرف اليوم في أبان هذه النزوة الطائشة ؛ وقد تعرف ولكنها لا ترد إلى أسبابها الحقيقية ، ولا تعلم علاقتها الأصلية !

ويقيني أن هذه الأزمات التي يعانها العالم اليوم من مالية وسياسية وأدبية واجتماعية ، إنما منشؤها هذه السرعة ، هذا التسابق ، هذا الجنون ، الذي يعمي الانسان عما حواليه ، فلا يرى إلا الامام . دون ما على الايمان والشئائل .. وحتى حين يصطدم بما حواليه ، فهو لا يقف ليتأمل ، أو ليصلح ما أصابه من الاصطدام ، بل ينطلق إلى الامام أيضاً ، محتملاً أثر الصدمة تلو الصدمة حتى يلاحقه العطب الكامل . . . فتكون هذه الأزمات !

إن السائق الذي يعرف كيف يسوق ولا يعرف كيف يقف : أو يدرى كيف يسرع ، ولا يدرى كيف يبطئ ، إنما هو سائق جاهل ، غير مأمون على نفسه ولا على الركاب . وإذا كان للقيادة السريعة لذة في النفس ونشوة ؛ فليس معنى هذا أنها أحسن القيادات وأولاهها بالاتباع

وبعد ففي مصر اليوم دعوة حارة ومخطرة معاً ، الى تقليد الغرب ، والجرى وراء الغرب ، وإن كان الغرب نفسه لا لا يعرف اليوم وجهته ، وهو شارد كالضال في متاهات الحياة ، فكأننا سنجرى وراء من يجرى وهو لا يعرف مبتغاه !!! وهذه الدعوة مفهومة من الوجهة « السيكولوجية » وقد عرف « ابن خلدون » أسبابها منذ قرون حينما عللها . بأن المغلوب يميل بطبيعته لتقليد الغالب لأعتقاده أن غلبته له إنما كانت لخصائص فيه .

والسيكولوجية الحديثة تقر ما ذكره ابن خلدون ، وتضيف إليه نظرية العقل الباطن ، إذ يندفع الانسان في بعض الأحيان ، الى أمور لا دخل لارادته فيها ، ولا لتفكيره ، بحكم إندساسها

في العقل الباطن ، من مخلفات مشاهداته ، أو ملاحظاته أو تفكيره التي يغمرها النسيان .

وهذه الدعوة مع أنها مفهومة وطبيعية . ليست مُسَلِّمة ؛ ومن الواجب التحذير منها ، وابرازها للنور ، بعيداً عن المؤثرات النفسية الغامضة . وإذا كانت الحرب العظمى قد أفقدت العالم الغربي أثرانه وطمأنينته ؛ وبعثته من المكامن والخنادق وحفر الموت ، مأخوذاً ، مشدوهاً ، مجنوناً ... فليس من الواجب أن يفقد الشرق طمأنينته كذلك ، ويجرى وراء الغرب المأخوذ المشدوه ، دون ما تأمل ولا تفكير !

إن للشرق رسالة قد يكون الآن موعدها ، ورسالته هذه ستقوم على خصائصها الأصلية فيه ، وستصح واجبة بل - أصبحت - لأن الغرب يكاد يتهالك ضعفاً وأعياء لفرط جريه ، وكثرة اصطداماته .

نحن لانكره النشاط كما قلنا . ولكن نكره العجلة . ونريد أن يحتفظ الشرق بشيء من يقينه ، ومن عمقه واتساعه ، ومن سحره أيضاً ؛ ، وألا يفرط في تقليد الغرب ، ولا سيما والغرب يتخبط ، ويئن ، ويشكو من الصدمات ولم يوفق بعد لا تقائها ، لأن النشوة لا تزال تطيف برأسه فيجرى ، وينهكه الجرى ، ولكنه لا يكف عن الجريان !

سيد قطب

صحح الأستاذ أحمد أمين

للأستاذ أحمد أمين

الأستاذ بكلية الآداب بالجامعة المصرية

وهو الكتاب الثاني « لفجر الاسلام »

يبحث في الحياة العقلية للمسلمين في العصر العباسي الأول

وثمنه ٢٠ قرشاً عدا أجرة البريد